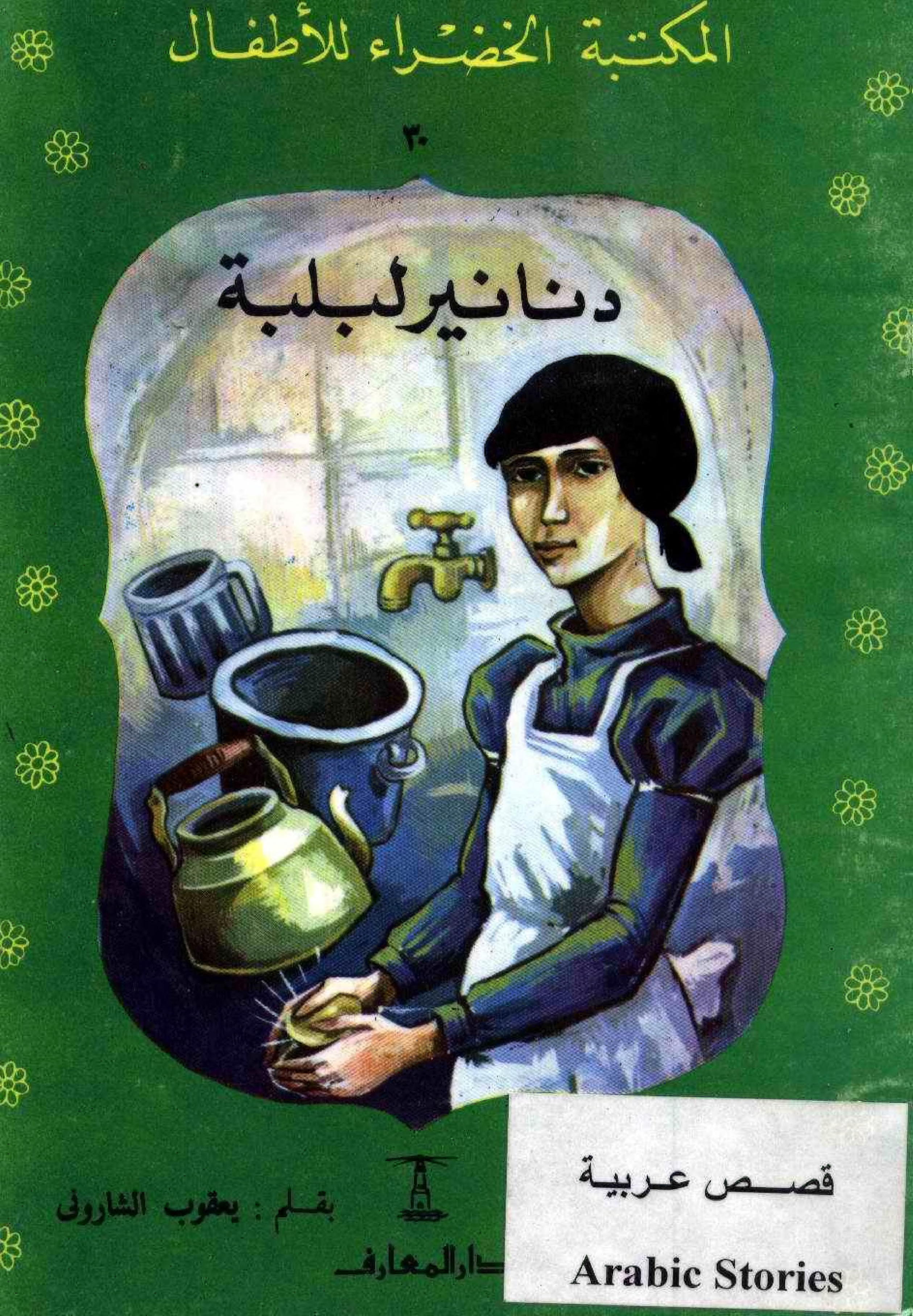

المكتبة الخضراء للأطفال
٣٠
دنانير لبلبة
بقلم : يعقوب الشاروني
دار المعارف
قصص عربية
Arabic Stories

المكتبة الخضراء للأطفال

٣٠



دنانير لبلبة

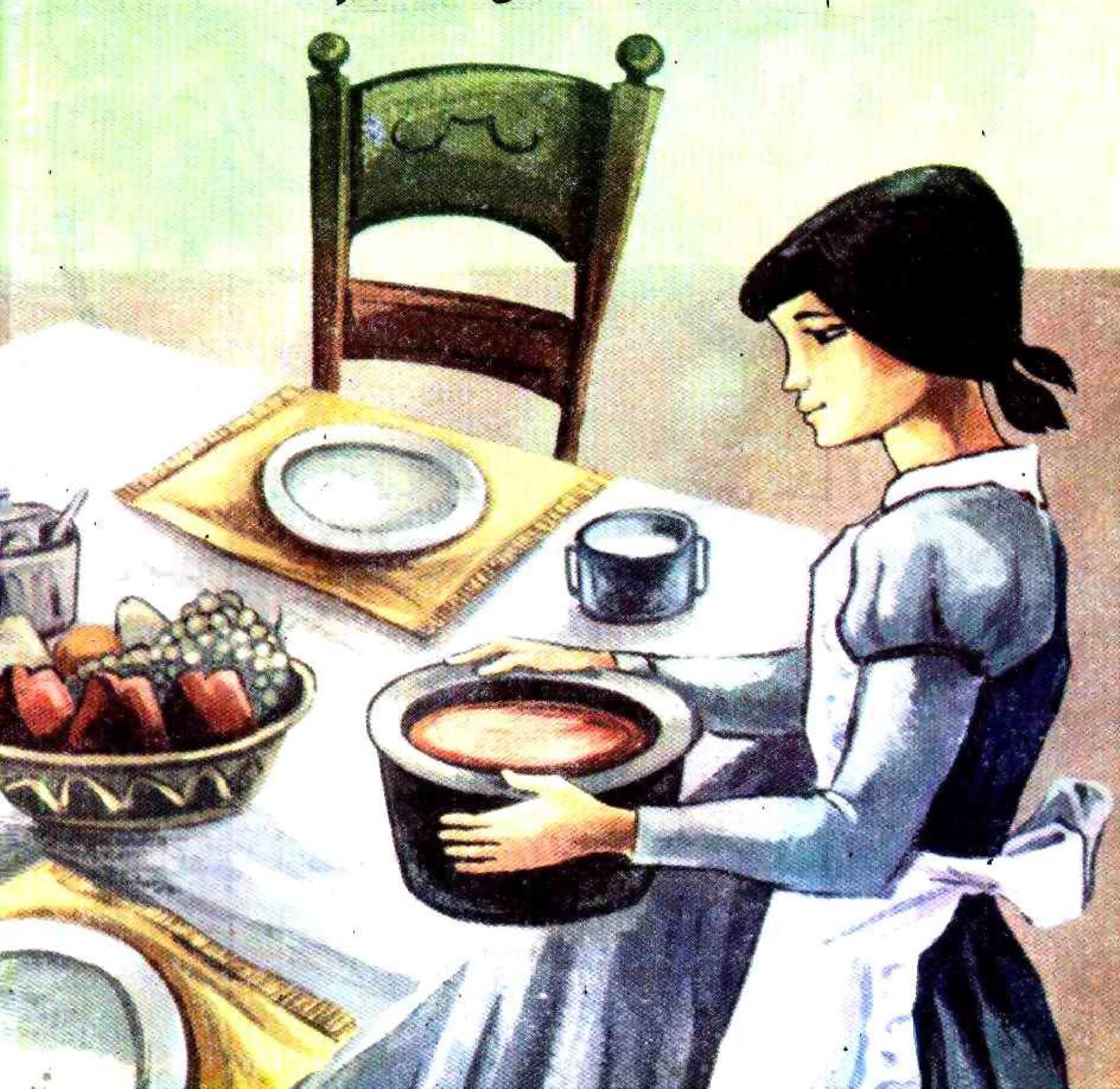


يُحكَى أنَّه كَانتْ تُوجَد ثَلاثُ فَتياتٍ ، يعْملنَ فى خِدْمَةِ ثَرِىٍّ ، يَقْطُنُ فى مَنْزِلٍ كَبِيرٍ ، بِهِ كُلُّ مَظَاهر التَّرفِ . وَلَمْ يَكُنْ لَدَى زَوجتِه إلا هؤُلاءِ الخَادِمَاتُ الثَّلاث ، لِذلِكَ كَانَ علَيهنَّ أَنْ يَقُمنَ بِالكَثِيرِ مِنَ الأَعْمَالِ .

وَكَانَ اسْمُ الفَتاةِ الكُبرَى « نَاعِسَة » . وَهى فَتاةٌ طَويلَةٌ ، ذَاتُ شَعْرٍ أَسْودَ ، وَوَجْناتٍ وَرْدِيَّة . وكَانَ فى اسْتِطَاعَتِها القِيامُ بِالكَثِيرِ مِنَ الأَعْمَالِ فى وَقْتٍ قَصِيرٍ لو أَرادتْ ذَلِكَ ، وَلكِنَّها لَمْ تَكُنْ تَرْغبُ فى العَمَلِ عَادَةً ، لأَنَّها كَسْلانةٌ .

وَكَانَ هَمُّها أَنْ تَقْضِىَ أَكثَر مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى مَقْعدٍ فى الْمَطبَخِ ، مُرْتَديَةً مَلاَبِسَ غَيرَ مُنَظَّمةٍ وَلاَ نَظِيفَةٍ ، شَعْثَاءَ الشَّعْرِ ، حَافِيَةَ القَدَمَينِ . وَكَانَتْ تَقْضِى السَّاعَاتِ تَقْرأُ الْقِصَصَ ، وَتَحْكى لِلْفَتاتَينِ الأُخرَيَيْنِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ لو أَنَّها أَصْبَحَتْ غَنِيَّةً .

وَكَانَ اسْمُ الثَّانِيَةِ « جَمِيلَة » ، وَهى ذَاتُ وَجْهٍ



جَمِيل جِدًّا ، زَرْقَاءُ الْعَيْنَيْنِ ، ذَهَبِيَّةُ الشَّعْرِ ، ولَكِنَّها كَانَتْ هى الأُخْرَى كَسُولاً تَكْرَهُ الْعَمَلَ .

وَلَمْ تَكُنْ تُهْمِلُ نفسَها مِثْل « نَاعِسَة » ، بَلْ عَلَى العَكْسِ ، كَانَتْ مُغْرَمَةً جدًّا بأَنْ تَرْتَدِى مَلاَبِسَ جَمِيلَةً ، وَبِأَنْ تَقفَ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةَ تَتَطلعُ إِلَى نَفْسِها فى الْمِرآةِ .

وَكَانَتْ تُنْفِقُ كُلَّ نُقُودهَا فى شِرَاء أَشيَاءَ جَمِيلَةٍ تَرْتَدِيها ،



مِثْل الزهُورِ الصِّنَاعيَّة ، وَشرَائِط الشَّعْرِ والأَحْزِمَةِ ، وَالأوْشِحَةِ وَالعُقُودِ .

وَأحْيَاناً ، عندَما يَخْلو الْبَيْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، تتَسلَّلُ إِلَى غُرْفةِ سَيِّدَتِها ، فتَرْتَدِى أثْوابَها الفَاخِرَةَ الوَاحِدَ بَعْدَ الآخر ، وتتَزيَّنُ بِحُلِيِّها الثَّمينَة ، ثُمَّ تَتمشَّى أمَامَ المرْآةِ الكَبِيرَةِ مُعْجَبَةً بِنَفسِها ، حتَّى لتَقْضِى فى كُلِّ مَرَّةٍ أكْثَر مِنْ سَاعَةٍ ، وَهى تتَأمَّلُ صُورتَها .

وَاعْتَادَتْ « جَميلة » أنْ تَقُولَ لِنَفْسِها : « إِنَّنِى أَجْمَلُ مِنْ أَنْ أتحمَّلَ مَشَاقَّ الْعَمَلِ . . كَانَ يَجبُ أَنْ أَكُونَ سَيِّدَةً غَنِيَّةً ، لاَ أَهتَمُّ بِأنْ أعْمل شَيْئاً . . بَلْ أَكْتفِى بِالْجلُوسِ ، وإِصْدَارِ الأَوَامِرِ لِلْخَدَمِ والأَتْباعِ » .

لِذَلِكَ فَمِنَ الْمُؤكَّدِ أَنَّ « نَاعِسَة » و « جَمِيلَة » لَمْ تَكُونَا تَقُومَانِ إلاَّ بِقَدْرٍ قَلِيلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمَنزِلِ الكَثِيرَةِ ، وَحتَّى مَا تَعْملانِهِ تُؤَدِّيانِهِ عَلَى أَسْوإِ صُورَةٍ .

وَكَانَ مِنَ الْغَرِيبِ حقًّا ألاَّ تطرُدَهُما سَيِّدَتُها ، وَلَوْ كَانَتْ تَعْلَمُ حَقِيقَتَهُما ، مَا تَأَخَّرتْ فى طَرْدِهِما . وَلَكِنَّها ، مَعَ تَأنِيبِها الْمُسْتمِرِّ لَهُما ، لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُ قَطُّ أَنَّ فَسَادَهُما وَصَلَ إِلَى دَرجَةِ تَرْكِ مُعْظَمِ عَمَلِهِا لِيَقُومَ بِهِ شَخْصٌ آخَرُ . ذَلِكَ أَنَّ خَادِمَتَها الثَّالِثَةَ والصُّغرَى ، هى الَّتى كَانَتْ تَشتَغِلُ طَوالَ الْوَقْتِ ، وَبِفَضْلِها كَانَ الْمَنزِلُ نَظِيفاً مُرَتَّباً عَلَى الدَّوامِ .

وَكَانَ اسْمُ هَذِهِ الْخَادِمَةِ الثَّالِثَةِ « لِبْلَبَة » ، وإنْ سمَّاهَا الْجَمِيعُ « لِبْلِبَة

الصَّغيرَة » لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ ضَآلَةِ حَجْمٍ ، وَنَحَافَةٍ وَشُحُوبٍ ، حتَّى لَقَدْ بَدَتْ كَأَنَّها أَصْغَرُ مِنْ حَقِيقَتِها ، وَمَعَ ذٰلِكَ كَانَت تَقُومُ بِأَغْلَبِ أَعْمالِ الْمَنزِلِ ، إِذِ اعتَادَتْ أَنْ تُؤَدِّيَ عَمَلَ زَمِيلَتَيْها ، بِالإِضَافَةِ إِلَى نَصِيبِها مِنَ الْعَمَلِ .



كَانَتْ تَشتَغِلُ طَوالَ النَّهارِ ، مِنَ الْفَجْرِ حتَّى مُنتَصَفِ اللَّيْلِ ، دُونَ أَنْ تَجِدَ دَقِيقَةً وَاحِدَةً تَهتَمُّ فِيها بِنفْسِها ، كَانَتْ تُنَظِّفُ أَوْعِيَةَ الْمَطبَخِ ، وتَكْنُسُ الأَرْضَ وَتَمْسَحُ الحُجرَاتِ وتَغْسِلُ الأَوانِيَ والأَطبَاقَ ، وتَطْهُو الطَّعامَ وتَعدُّ المَائِدَةَ ، وتُرَتِّبُ الأَثاثَ ، وتَحرِصُ أَنْ يَبْدُوَ المَنْزِلُ أَنِيقاً نَظِيفاً ، وتَسْهَرُ عَلَى تَلْبِيَةِ رَغَباتِ سَيِّدِها وسَيِّدَتِها .

لَمْ يَكُنْ لَهَا أَخٌ أَوْ أُختٌ ، وقَدْ فَقَدتْ أَباهَا وأُمَّهَا . وَلَمْ يَكُنْ لَهَا صَدِيقٌ فى الدُّنْيا سِوَى جَدَّتِها .

وجَدَّتُها سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ فَقِيرَةٌ جِدًّا ، كَانَتْ تَعِيشُ فى كُوخٍ صَغِيرٍ قَدِيمٍ ، لاَ يَبْعُدُ كَثِيراً عَنْ المَدِينَةِ الَّتِى تَعْمَلُ بِهَا « لِبْلبة » .

لَمْ يَكُنِ الكُوخُ مَكَاناً صَالِحاً للسَّكَنى ، لٰكِنَّ جَدَّةَ لِبْلبَة كَانَتْ مِن الفَقْرِ بِحيْثُ لَمْ تَجِدْ مَكاناً أَفْضَل مِنه لِتَعِيشَ فِيهِ . كَانَتْ أَرْضِيَّتُهُ مِنَ التُّرابِ ، والشُّقُوقُ تَمْلأُ سَقْفَه وجُدْرَانَه ، والفِراشُ الَّذِى تَنَامُ عَلَيهِ المَرْأَةُ العَجُوزُ مُجَرَّد كَوْمةٍ مِنَ القَشِّ وغِطَاءٍ مُمزَّقٍ .

وكَانَتْ لِبْلبَةُ الصَّغِيرَةُ تُعطِى جَدَّتَها كُلَّ مَا تَحصُلُ عَلَيه مِنْ نُقُودٍ ، أُسْبوعاً بَعْدَ أُسْبوعٍ . ولٰكِنَّ ذٰلِكَ لَم يَكُنْ كافِياً حتَّى لِشِرَاءِ الخُبْزِ دُونَ غَيْرِه ، وكَثِيراً ما كَانَتْ لِبْلبةُ تُحدِّثُ نَفْسَها قَائِلَةً : « كَمْ تَكُونُ الحَيَاةُ حُلْوةً ، إِذَا استَطَعتُ أَنْ أَعِيشَ مَعَ جَدَّتِى فى مَنْزِلٍ صَغِيرٍ جَمِيلٍ نَظِيفٍ ، تُحِيطُ بِهِ حَدِيقَةٌ أَقْطفُ

مِنْها الورُودَ والأَزْهارَ كُلَّ صباحٍ ، وأَنْ يَكُونَ لَدَيْنا قَلِيلٌ مِنَ النُّقُودِ لِشراءِ مَا نَحْتاجُ إِليه مِنْ مَلابِس ، وأَنْ نَجِدَ دائِماً طعَاماً كَافِياً . لَوْ تحَقَّق هٰذا ، فَكمْ سَنَكُونُ رَاضِينَ سُعَدَاءَ ! ! » .

كَانَت هٰذِهِ هى أَمَــانِى لُبْلُبَةَ الصَّغِيرَةِ فى الحَيَاةِ ، ولكنَّها لَمْ تَجِدْ وَسِيلَةً يُمْكِنُ أَنْ تُحَقِّقَ بِهَا أَحْلامَها وَأَمانِيَّهَا . ومَعَ ذٰلِكَ ظَلَّتْ تَعْمَلُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ، وظَلَّتْ نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ تُواصِلاَنِ تَرْكَها لِتَقُومَ بِنَصِيبِهَا مِنَ العَمَلِ ، ونَادِراً مَا تَمُدَّانِ إِليها يَدَ المُسَاعَدةِ . وكُلَّـمَا عَهِدَتْ إِلَيْها سَيِّدَتُهَا بِعَملٍ شَاقٍّ أو مُهِمَّةٍ دَقِيقَةٍ فإِنَّها تَقُولانِ : « سَتَقُومُ لُبْلُبَةُ بِهٰذا ، لِمَاذا نُرْهِقُ أَنْفُسنا بِالعَملِ ما دَامَتْ لُبْلُبَةُ الصَّغِيرَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ بِكُلِّ الْعَمل ؟ » .



وفى يَوْمٍ ، أَقَامَ سَيِّدُ لِبْلِبَةَ وزَوْجَتُهُ وَليمَةً عَظِيمَةً فى بَيْتِهِما الفَاخِرِ ، حَضَرهَا أَصْدِقَاؤُهما لِتَناولِ الطَّعَامِ .

وقَبْلَ مِيعَادِ الوَلِيمَةِ بِعِدَّةِ أيَّامٍ ، انْهمَكَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ وَالْكَسْلانَتَانِ : نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ فى العَمَلِ ، إِذْ كَانَتْ لَدَيْهِنَّ وَاجِبَاتٌ كَثِيرَةٌ يَجِبُ القِيَامُ بِهِا . كَانَ عَلَيْهِنَّ تَنْظِيفُ الخُضْرَواتِ وطَهْيُهَا ، وإِعْدَادُ الطُّيورِ الْمَشْوِيَّةِ واللُّحُومِ المَطْبُوخَةِ ، وصُنْعُ الكَعْكِ والشطائر وغَيْر ذَلِكَ مِنَ الْحَلْوَى والأَطْعِمَةِ .

وَوُضِعَ عَلَى عَاتِقِ لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةِ أَشَقُّ جَانِبٍ مِنَ الْعَمَلِ ، إِذْ سُرْعَانَ مَا تَخَلَّتْ نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ عَنِ القِيَامِ بِواجِبَاتِهِا ، بِحُجَّةِ أَنَّ التَّعبَ قَدِ انتَابَهُا .

وفى يَوْمِ المَأْدُبَةِ نَفْسِهِ ، قَامَتْ لِبْلِبَةُ بِأَكبَرِ نَصِيبٍ مِنَ العَمَلِ : فَقَد بَسَطَتِ المَوَائِدَ ، وأَتمَّتِ الطَّهْىَ ، ثُمَّ وَقَفَتْ تُلَبِّى كُلَّ طَلَبٍ يُبْدِيه أَىُّ وَاحِدٍ مِنَ الضُّيوفِ . . . وكَانَ المَدْعُوون يَتَصَايَحُونَ مِنْ شِدَّةِ الطَّربِ والمَرَحِ .

وبَعْدَ انْتِهاءِ الوَليمةِ ، قَامَتْ لِبْلِبَةُ بِالْعَملِ كُلِّهِ : فَجَمعَتِ الأَوانِى وأَدَواتِ المَائِدَةِ ، ورَفَعَتِ المَوائِدَ ، وَغَسَلَتِ الأَطبَاقَ .

وفى كُلِّ هذَا ، لَمْ تَمُدَّ نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ يَدَ المُسَاعَدَةِ إِلَى لِبْلِبَةَ ، بَلْ جَلَسَتْ نَاعِسَةُ عَلَى مَقْعَدٍ فى المَطْبَخِ ، وأَخَذَتْ تلتَهِمُ جَمِيعَ الكَعْكِ والحَلوَى الَّتِى تَبَقَّتْ مِنَ الوَلِيمَةِ .

وبالْمِثْل ، لَمْ تُلْقِ جَمِيلةُ بَالاً إِلَى الأَكْوامِ المُكَدَّسَةِ مِنَ الأَطبَاقِ







الَّتى يَتَحتَّمُ غَسْلُهَا ، بَلْ تَسَلَّلتْ لِتَتَمتَّعَ بِمُشَاهَدَةِ السَّيِّدَاتِ الحِسَانِ فى ثِيَابِهِنَّ الحَرِيرِيَّةِ الفَاخِرَةِ ، ومُجَوْهَرَاتِهِنَّ النَّفِيسةِ الغَالِيَةِ . وَهٰكَذَا قَضَتْ كُلَّ وَقْتِهَا خَلْفَ بَابِ البَهْوِ تَخْتلسُ النَّظرَ مِنْ ثُقْبِ المِفتَاحِ ، لِتَتَمكَّنَ مِنْ مُشَاهَدَةِ المَنَاظِرِ الجَمِيلَةِ .

وأخيراً انتابَ الإرْهَاقُ الشَّدِيدُ لِبْلِبَةَ الصَّغيرَةَ ، حتَّى لَمْ تَعُدْ قَادِرَةً عَلَى الْوُقُوفِ . وعِنْدَمَا انتَهتْ مِنْ تَنْظِيفِ آخرِ طَبَقٍ ، كَانَ قَدِ انْقَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرٌ كَبِيرٌ ، فَزَحَفَتْ فَوْقَ دَرَجَاتِ السُّلَّمِ لِتَصِلَ إِلَى غُرفَتِهَا الَّتِى تَقَعُ فَوْقَ السَّطْحِ . وهُنَاكَ أَلْقَتْ بِنَفسِهَا عَلَى سَرِيرِهَا ، وسُرْعَانَ مَا استَغرَقَتْ فى نَوْمٍ عَمِيقٍ .

وفى اليَوْمِ التَّالى ، استَيقَظَتْ مِنْ نَوْمِهَا مُبَكِّرَةً ، إِذْ كَانَتْ تُدْرِكُ تَماماً أَنَّ الْمَنْزِلَ يَجِبُ تَنْظِيفُه جَيداً ، وإِعَادَة النِّظَامِ إليه عَقِبَ الوَلِيمَةِ ، لَكِنَّها وَجَدَتْ نَفْسَها مُتْعَبَةً جِدًّا .

وارْتَدَتْ مَلَابِسَها بِبُطْءٍ ، وهِيَ تَدْعَكُ عَينَيْها ، وعِنْدَمَا تَنَاوَلَتْ حِذَاءَها لِتَلْبَسَه ، تَوَقَّفَتْ فَجْأَةً . . لَقَدْ أَحسَّتْ بِشَيءٍ صُلْبٍ وبَارِدٍ فى حِذَائِها الأَيْمَنِ ، وعِنْدَمَا تَحسَّسَتهُ ، سَأَلَتْ نَفْسَها مُتَعَجِّبَةً : « مَا هٰذَا . . . ؟ ! »

وكَمْ كَانَتْ دَهْشَتُها عِنْدَما نَظَرتْ إِلَى الشَّيءِ الَّذِى وجَدَتْهُ . . . فإِذَا بِهِ دِينَارٌ ذَهَبِىٌّ لَامِعٌ كَبِيرٌ !

وَحَمْلَقَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغيرَةُ فى ذٰلِكَ الكَنزِ الصَّغِيرِ ، وَدَعَكَتْ عينَيْهَا ثَانِيَةً لِتَتَأَكَّدَ أَنها لَيْسَتْ فى حُلْمٍ ، وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا : « أَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّ هَذَا الدينَارَ الذَّهَبِيَّ لَمْ يَكُنْ فى حِذَائِى لَيْلَةَ الأَمْسِ ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ ؟ ومَنِ الَّذِى وَضَعَهُ هُنَا ؟ »

وَلَمْ تستَطِعْ أَنْ تَجِدَ تَفْسِيراً مَعْقُولاً لِمَا حَدَثَ . وبَعْدَ تَردُّدٍ ، وَضَعَتِ القِطْعَةَ الذَّهَبِيَّةَ فى جَيْبِ رِدَائِهَا ، وَهَبَطَتِ السُّلَّمَ لِتَبْدأَ أَعْمالَها ، لكنَّها لَمْ تَجِدِ الفَتاتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ .

وبَعْدَ لحْظَةٍ ، دَخَلَتْ نَاعِسَةُ الْمَطبَخَ وَهِىَ تَصِيحُ : « يَالَهَا مِنْ لَيْلَةٍ فَظِيعَةٍ . إِنَّنِى لَمْ أَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ خِلالَها . . لَسْتُ أَدْرِى مَا الَّذِى انتَابَنِى ؟ لَقَدْ أَحْسَستُ أَنَّ شَخْصاً مَّا لا أَستَطِيعُ أَنْ أَرَاهُ ، قَضَى طُولَ اللَّيْلِ يضْرِبُنِى ويَلْكُمُنِى . لَقَدْ غَادَرْتُ فِرَاشِى عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وفَتَّشْتُ غُرفَتِى جَيِّداً ، وتَأَكَّدْتُ فى كُلِّ مَرَّةٍ أَنَّنِى وَحْدِى تَمَاماً . ومَعَ ذَلِكَ . . مَا إِنْ أَعُود لأَسْتَلْقِىَ عَلَى الفِرَاشِ ، حتَّى يَبْدَأَ الْوَخْزُ وَالضَّربُ ثانِيَةً . إِنَّ جِسْمِى كُلَّه يُؤْلِمُنِى مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ والوَخزِ . . . انْظُرِى يَا لِبْلبَة ، لَقَدِ امتَلأَ جِسْمِى بِالْبُقَعِ السَّوداءِ والزَّرْقَاءِ مِنْ أَثَرِ مَا حَلَّ بِى فى أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ! ! » .



وَدَخَلَتْ جَمِيلَةُ عِنْدَمَا كَانَتْ لِبْلِبَةُ تَتَطَلَّعُ إِلَى عَلَامَةٍ مُتَوَرِّمَةٍ كَبِيرَةٍ زَرْقَاءَ فِى ذِرَاعِ نَاعِسَةَ ، وَإِذَا بِالْخُدُوشِ وَالجُرُوحِ تُغَطِّى وَجْنَتَىْ جَمِيلَةَ الجَمِيلَتَيْنِ ، فِى حِينِ ظَهَرَ وَاضِحاً أَنَّ بَعْضَ خُصْلَاتِ شَعْرِهَا الذَّهَبِىِّ قَد انْتُزِعَتْ مِنْ رَأْسِهَا . وَصَاحَتْ لِبْلِبَةُ وَنَاعِسَة فِى صَوْتٍ وَاحِدٍ عِنْدَمَا شَاهَدَتَاهَا : « مَاذَا حدَثَ . . مَا الَّذِى حَلَّ بِكِ ؟ ! » .





وقَالَتْ جَمِيلَةُ وهِىَ تَبْكى : « لَسْتُ أَدْرِى كَيْفَ أُخْبِرُكُما بِمَا حَدَثَ . . فَطَوالَ اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، لَمْ أَذُقْ طَعْماً للنَّوْمِ . لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ مَّا يُواصِلُ وَخزِىَ بِالدَّبابِيسِ ، وَيَجْذِبُنِى مِنْ شَعْرِى بِقُوَّةٍ وَعُنْف . . يَا لَشِدةِ الْخَوْفِ الَّذِى انتَابَنِى ! . لَمْ أَنلْ أَىَّ قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ ، فَقَدْ أَخَذتُ أُغَادِرُ الفِرَاشَ وأَعُودُ إِلَيه طُولَ اللَّيْلِ ، ومَعَ ذٰلِكَ لا أَستَطِيعُ أَنْ أَقُولَ مَن الَّذِى أنزَلَ بِى هٰذَا الْعَذَابَ المتَّصِلَ ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرِى فى غُرْفَتِى » .

ثُمَّ استَدَارَتِ الفتَاتَانِ إِلَى لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةِ ، وسَأَلتَاهَا : « هَلْ حَدَثَ لَكِ شَىْءٌ مِمَّا وَقَعَ لنَا ؟ هَلْ كَانَتْ لَيْلتُكِ حَافِلَةً بِالأَلَمِ والْعَذَابِ مِثْلنَا ؟ »

فَقَالَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ : « كَلاَّ . . بَلْ عَلَى الْعَكْسِ ! أَعتَقِدُ أَنَّ شَيْئاً يَختَلِفُ تَمَاماً قَدْ وَقَعَ لى . لَقَدْ وَجَدْتُ دِينَاراً ذَهَبِيًّا فى حذَائى الأيْمَنِ ، ولَسْتُ أَدْرِى مَنْ وَضَعَهُ هُنَاكَ ! » .

وبَانَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهَىْ نَاعِسَةَ وجَمِيلةَ ، وصَاحَتْ نَاعِسَةُ : « تَقُولِينَ مِنْ ذَهَبٍ ؟ ! لعَلَّكِ كُنْتِ تَحْلُمِينَ ! » وَقَالَتْ جَمِيلَةُ : « هٰذَا شَىْءٌ لاَ يَحْدثُ إِلاَّ فى الْقِصَص ! »

هُنَا وَضَعَتْ لِبلِبَةُ يَدَهَا فى جَيْبِ رِدَائِهَا ، ثُمَّ أَخرجَتِ العُمْلَةَ الذَّهَبِيَّة وبَرِيقُ المَعْدِنِ الأَصْفَرِ الثَّمِينِ يَلْمَعُ بَيْنَ أَصَابِعهَا . وأَمْسَكَتْ نَاعِسَةُ العُمْلَةَ الغَالِيَةَ ، وأَخذَتْ تَتأَمَّلُهَا بِعَينَيْنِ كُلِّهِا دَهْشَة . وتَنَاوَلَتْ مِنْهَا جَمِيلَةُ قِطْعَة

الذَّهَبِ ، وَراحَتْ تُقَلِّبها بيْنَ يَدَيْهَا ، وَهىَ تَتَحَسَّسُها غَير مُصَدِّقَةٍ .

وأَخيراً استَعَادَتْ لِبْلِبَةُ الدِّينَارَ الذَّهَبِىَّ ، وأَعَادَتهُ فى حِرْصٍ إِلى مَكَانِهِ دَاخِلَ جَيْبِهَا .





وخِلاَلَ ذٰلِكَ النَّهَارِ ، لَمْ تَقُمْ نَاعِسَةُ أَوْ جَميلَةُ بِأَىِّ عَمَلٍ . . لَقَدْ قَالتَا إِنَّ آلاَمَهُما أَشَدُّ مِنْ أَنْ تَسْمحَ لَهُما بِالْحَرَكَةِ ، ولِهٰذَا اشْتَغَلَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ وحْدَهَا طَوالَ النَّهَارِ ، وفى اللَّيْلِ نَامَتْ فى هُدُوءٍ فى حُجْرَتِها الصَّغِيرَةِ فَوْقَ السَّطْحِ . وعِنْدَمَا استَيْقَظَتْ صَبَاحَ اليَوْمِ التَّالى ، وَجَدَتْ دِينَاراً ذَهَبِيًّا آخَرَ فى حِذَائِهَا الأَيْسَرِ . وَكَمْ كَانَ ذٰلِكَ غَرِيباً !

أَمَّا نَاعِسَةُ وجَميلَةُ ، فَقَدْ نَزلتَا فى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ ، وَهُمَا مُتَأَلِّمَتَانِ ، إِذْ لَمْ تَتَمتَّعْ إِحْدَاهُما بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ النَّوْمِ الهَادِئ . لَقَدْ تَوالَى عَلَيْهِما الضَّرْبُ والوَخْزُ طَوال تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضاً ، ولَمْ تَستَطِعِ الفَتياتُ الثَّلاثُ أَنْ يَعْرِفْنَ سِرَّ هٰذَا الَّذِى يحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ .



وفى اللَّيْلةِ الثَّالِثَةِ ، أصْبحَ الأَمرُ أَكثَر سُوءاً وأَشَدَّ إيلاماً بِالنِّسبَةِ للفَتاتَيْنِ الْكَسْلانَتَيْنِ . وفى الصَّباحِ ، كَانَتِ البُقَعُ الزَّرْقَاءُ والسَّوداءُ تَمْلأُ جِسْمَيْهما ، والأَلَمُ الشَّدِيدُ يَنْتابُ كُلَّ عُضْوٍ فِيهمَا .

أَمَّا لِبْلِبَةُ الصَّغِيرةُ ، فَقَدِ استَيْقَظَتْ صَباحاً مِنْ نَوْمِهَا ، بَعْدَ أَنْ أَمْضَتْ لَيْلَةً سَعِيدَةً هَادِئَةً فى حُجرَتِها الصَّغِيرَةِ فَوْقَ السَّطْحِ . وفى الصَّباحِ ، وَجَدتْ دَاخِلَ جوْرَبِها دِينَاراً ذَهَبيًّا ثَالِثاً .



أَخِيراً صَمَّمَتِ الفَتياتُ الثَّلاثُ عَلَى إخبَارِ سَيِّدَتِهِنَّ بِمَا حَدَثَ ، وأَصغَتِ المَرْأَةُ إِلَى القِصَّةِ كَامِلَةً ، وأَمْعَنَت النَّظرَ إِلَى الدَّنَانِيرِ الذَّهَبِيَّةِ ، ثُمَّ قَالَتْ : « إِنَّ هَذَا طَبْعاً مِنْ فِعْلِ الحُوريَّاتِ . لَقَدِ اعْتَدتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ أُمِّى أَنَّ الحُوريَّاتِ تُوخِزُ كُلَّ فَتاةٍ كَسْلانَةٍ لا تَقُومُ بِأَدَاءِ وَاجِبَاتِها بِأَمَانَة » .

وَهُنَا نَظَرَتْ بِتَجَهُّمٍ إِلَى نَاعِسَةَ وَجَمِيلَةَ ، وتَابَعَتْ حَدِيثَها قَائِلَةً : « وَأَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّ الحُوريَّاتِ قَدْ كَافَأَتْ لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةَ بِهٰذِه الدَّنَانِيرِ الذَّهَبِيَّةِ ، لأَنَّها تَشْتَغِلُ دَائِماً بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ » .



ثُمَّ مَنحتْ لِبْلِبَةَ عُطلَةَ اليومَ بِأكْملِهِ ، حتَّى تتمكَّنَ مِنْ زِيارةِ جدَّتِها ، فى الوقْتِ الَّذِى أَخذَتْ تُؤَنِّبُ فيهِ البِنْتيْنِ الْكسْلانتَيْنِ ، وقَالَتْ لهُما : «إنَّنِى أُفكِّرُ فِعْلاً فى طَرْدِكُما مِنْ خِدْمَتِى ، مَا دُمْتُما لا تُخْلِصَانِ فى عَملِكُمَا» .

ومَا إنْ سَمِعَتِ الفَتاتَانِ هٰذَا التَّهدِيدَ ، حتَّى مَلأَهُما الْخوفُ والأَسفُ ، وتَعَهَّدَتَا أَنْ تُحْسِنَا السُّلوكَ فى المُستقبَلِ ، وأَنْ تُؤدِّيَا عملَهُما بِأَمَانَةٍ وإِخْلاصٍ .

أَمَّا لِبْلِبَة ، فَقَدْ غمرتْهَا الفَرْحَةُ عِنْدَمَا ذَهَبَت إلى جدَّتِها الفَقِيرَةِ ، وقَصَّتْ عَليْهَا أَخبارَ حَظِّهَا الحَسَن . وكَانَ الحَدِيثُ طَوِيلا ومُسَلِّياً بيْنَ الفتاةِ

وجدَّتِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لِبْلِبَةُ فى فَرح : « إِنَّنى أعْلَمُ يَا جَدَّتِى مَا يَجِبُ أَنْ أفْعَلَهُ بِدَنَانِيرِى الذَّهَبِيَّةِ . لَقَدْ أَخبرَتْنِى سَيِّدَتِى أَنَّهَا أَكْبرُ أَنْواعِ العُمْلاَتِ قِيمَةً ، ولِهٰذَا فَسأَدَّخِرُهَا حتَّى أَتمكَّنَ مِنْ شِرَاءِ مَنْزِلٍ صَغِيرٍ جَمِيلٍ تَعِيشِينَ فِيهِ ، بَدَلاً مِنْ هَذَا الكُوخِ الصَّغِيرِ . إنَّ هٰذَا أَقْصَى مَا أَطْمَعُ فِيهِ » .

وحَلَّ الظَّلامُ قَبْلَ أَنْ تُغَادِرَ لِبْلِبَةُ كُوخَ جَدَّتِهَا ، وأَمْسَى الجَوُّ شَدِيدَ البُرُودَةِ ، بَلْ أَخَذَتِ السَّمَاءُ تُمْطِرُ فِى أَثْنَاءِ عَوْدَةِ لِبْلِبَة .

وفى أَحَدِ الأَزِقَّةِ الصَّغِيرَةِ شَاهَدَتْ لِبْلِبَةُ فى أَثْنَاءِ سَيْرِهَا صَبِيَّةً تَبْكِى بُكَاءً شَدِيداً وهِىَ تَحتَمِى بِبَابِ أَحَدِ الْمَنَازِلِ . وكَانَتْ حَافِيَةَ الْقَدَمَيْنِ تَقِفُ فى الطِّينِ ومَاءِ الأَمْطَارِ البَارِدِ ، وتَرْتَدِى ثِيَاباً قَدِيمَةً بَالِيَة . وفى الحَالِ تَوَقَّفتْ لِبْلِبَةُ وسَأَلَتْهَا : « لِمَاذا تَبْكِينَ أَيَّتُهَا الفَتَاةُ ؟ »

وتَنَهَّدَتِ الصَّبِيَّةُ وهِىَ تَقُولُ : « إِنَّنى حَائِرَةٌ لاَ أَعْرِفُ مَكَاناً أَنَامُ فِيهِ هٰذِهِ اللَّيْلَة . إِنَّنِى لاَ أَملكُ نُقُوداً ، كَمَا أَنَّنِى لَمْ أَتَذوَّق طعَاماً طَوال هٰذَا النَّهَارِ ، وَلَسَوْفَ أَمُوتُ مِنَ الجُوعِ والبَرْدِ » . ثُمَّ سَقَطَتْ مُتكَوِّمَةً تَحْتَ أَقْدَامِ لِبْلِبَة .

وتَنَهَّدَتْ لِبْلِبَةُ لحظَةً ، ثُمَّ قَالَتْ لِنَفْسِهَا : « لَقَدْ عَلَّمَتْنِى جَدَّتِى أَنَّه يَجِبُ مَدّ يَدِ المُسَاعَدَةِ للآخَرِينَ ، كُلَّمَا وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً » .





عِنْدئِذٍ أَخرجَتْ أَحَدَ دَنَانِيرِهَا الذَّهَبِيَّة ، وَوَضَعَتْهُ فى يَدِ الصَبِيَّة الصَّغِيرَةِ ، وَقَالَتْ فى رِقَّةٍ : « يَا أُخْتِى . . هَذِهِ القِطْعَةُ الذَّهَبِيَّةُ تَكْفِى لِعَشَائِكِ ، وأَيْضاً لِكَى تَجِدِى لَكِ مأْوَى تَبِيتِينَ فِيهِ اللَّيْلَةَ » . ثُمَّ تَابَعَتْ سَيْرَهَا إِلَى مَنْزِلِ سَيِّدَتِهَا .



ودُهِشَتْ نَاعِسَةُ وَجَمِيلَةُ عِنْدَمَا سَمِعَتَا كَيْفَ ضَحَّتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ بِوَاحِدٍ مِنْ دَنَانِيرِهَا الذَّهَبِيَّةِ ، وقَالَتَا لَهَا : « يَالَكِ مِنْ فَتَاةٍ حَمْقَاءَ ! كَيْفَ تُعْطِينَ وَاحِداً مِنْ دَنَانِيرِكِ الذَّهَبِيَّةِ الثَّمِينَةِ لِشَحَّاذَةٍ صَغِيرَةٍ ؟ لَقَدْ كَانَ بِوسْعِكِ أَنْ تَشْتَرِى أَغْلَى وأَثْمَنَ الأَشْيَاءِ بِهَذَا الدِّينَارِ الذَّهَبِىّ » . ولَكِنَّ لِبْلِبَةَ لَمْ تُلْقِ بَالاً إِلَى تَأْنِيبِهِمَا ، بَلْ كَانَ السُّرورُ يَغْمُرُهَا لأَنَّهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُسَاعِدَ تِلْكَ الفَتَاةَ المِسْكِينَةَ الصَّغِيرَةَ » .

وفى أَثْنَاءِ غِيَابِ لِبْلِبَةَ عِنْدَ جَدَّتِهَا ، حَاوَلَت نَاعِسَةُ وَجَمِيلَةُ أَنْ تَشْتَغِلاَ بِجِدٍّ ونَشَاطٍ ، حتَّى لا تَعُودَ إِلَيْهِمَا الحُورِيَّاتُ بِالضَّربِ والوَخْزِ . لَقَدْ أَرَادَتَا

تَجنّبَ تِلْكَ الآلاَمِ ، فَواصَلَتا العَمَلَ بِهمَّةٍ حتَّى انتهَتَا مِنْ واجِباتٍ كَثِيرَةٍ ، ولكِنَّهُمَا فى نِهَايَةِ النَّهَـارِ شعَرَتَا بِالتَّعَبِ تَماماً ، فَذَهبَتَا إلى فِراشِهِا قَبْلَ أَنْ تَبْدأَ لِبْلِبَةُ فى تَناوُلِ عشَائِها .



وقَبلَ أَنْ تتَنَاوَلَ لِبْلِبَةُ لُقَمَةً وَاحِدَةً مِنْ طَبَقِ الطَّعَامِ ، سَمِعَتْ طَرْقاً عَلَى البَابِ ، فقَامَتْ تَفْتحهُ . وعِنْدَمَا فَتحَتْهُ ، شَاهَدَتْ سَيِّدَةً تحْمِلُ عَلَى ذِرَاعَيْهَا طِفْلاً صَغِيراً . وسُرْعَانَ مَا قَالَتِ السَّيِّدَةُ : « يَا عَزِيزَتِى الصَّغِيرَة . . أَلاَ تَمنَحِينَنِى شَيْئاً أَقتَاتُ بِهِ أَنَا وطِفْلِى ؟ إِنَّنا لمْ نَذُقْ طعَاماً طَوالَ اليَومِ ، وَلاَ يَزَالُ أَمَامِى عِدَّةُ أَمْيَالٍ يَجِبُ أَنْ أَقْطَعَهَا خِلاَلَ هَذَا اللَّيْل ، قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى المَنْزِلِ الَّذِى أَقْصِدُهُ » .





وفى الحَالِ صَاحَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ : «تَفَضَّلى بِالدُّخُولِ» . وأَدْخَلَتِ المَرأَةَ إلَى المَطْبَخِ الدَّافِئ ، وأَحْضَرَتْ لَهَا مَقْعَدًا جَلَسَتْ عَلَيْه ، ثُمَّ قَدَّمَتْ لَهَا طَبقَ الحَسَاءِ وقِطْعَةَ الخُبْزِ ، وهُوَ مَا كَانَتْ سَتَتَنَاوَلُه كَعَشَاءٍ لَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لِبْلِبَةُ : «دَعِينى أَحْمِلُ الطِّفْلَ عَنْكِ فى أَثْنَاء تَنَاوُلكِ الطَّعَامَ» .

وتَبَيَّنتْ لِبْلِبَةُ أَنَّ المَرْأَةَ شَاحِبَةُ الوَجْهِ ، نَحِيفَةُ الجِسْمِ ، تَرْتَدِى مَلَابِسَ رَثَّةً بَالِيَةً . وكَانَ طِفْلُهَا الصَّغِيرُ يَبْكى مِن الجُوعِ والبَرْدِ . لَقَدْ كَانَ مَلْفُوفاً فى شَالٍ ، لَمْ يَكُنْ سِوَى خِرْقَةٍ رَثَّةٍ بَالِيَةٍ . وقَالَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ : «لابُدَّ أَنْ يَكُونَ لِطفلكِ غِطَاءٌ يُدْفِئُهُ ، إنَّهُ سَيَمُوتُ مِنَ البَرْدِ إذَا ظَلَّ مُتَدَثِّراً بِهَذَا الشَّال البَالى» .

فَقَالَتِ السيِّدةُ وقَدْ أَخَذَتْ تَبْكى : « إِنَّنى أَعْلَمُ هٰذَا ، ولٰكِنْ لَيْسَتْ مَعِى نُقُودٌ لأَشْتَرىَ غِطَاءً يُدْفِئُه . إِنَّنا فُقَرَاءُ جِدًّا ، فَزَوْجِى يَعْمَلُ سَائِقَ عَرَبَةٍ ، وقَدْ سَافَرَ إِلَى مَدِينَةٍ تَبْعُدُ عَنْ هُنَا أَمْيالاً كَثِيرَةً ، وهُنَاكَ سَقَطَ مَرِيضاً ، وأَخْشَى أَنْ يَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيهِ . ولَيْسَتْ مَعِى نُقُودٌ لأَستَأْجِرَ مَرْكَبَةً أَذْهَبُ بِهَا إِلَى هُنَاكَ ، لِذٰلِكَ لابُدَّ أَنْ أُتابِعَ رِحْلَتِى سَيْراً عَلَى الأَقْدَامِ » .

ثُمَّ وَضَعَتِ الطَّبَقَ وهِىَ تَتَنَهَّدُ فى أَثْنَاءِ حَدِيثِهَا ، وحَمَلَتِ الطِّفْلَ ، وتَوَجَّهَتْ نَاحِيَةَ البَابِ وهِىَ تَقُولُ : « أَنْتِ فَتاةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا . . كَمْ كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أُكَافِئَكِ » .

وَلٰكِنَّ لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةَ قَامَتْ ، وَوَضَعَتْ شَيْئاً صُلباً لامِعاً فى يَدِ السَّيِّدَةِ وقَالَتْ : « اِشْتَرِى غِطَاءً لِطِفْلِك أَيَّتُهَا السَّيِّدةُ المِسْكِينَةُ ، وأَرْجُو أَنْ تَتَمكَّنِى مِنَ الوصُولِ سَرِيعاً إِلَى زَوْجِكِ المَرِيضِ » .

وعَلَى هٰذِه الصُّورَةِ أَنْفَقَتْ لِبْلِبَةُ ثَانِىَ دَنَانِيرِهَا الذَّهَبِيَّةِ .

لَمْ يَتَبَقَّ مَعَ لِبْلِبَةَ سِوَى دِينَارٍ ذَهَبِىٍّ واحِدٍ مِنَ الْهَدَايَا الَّتِى تَرَكَتْها الحُورِيّاتُ . وأَدْرَكَتْ لِبْلِبَةُ أَنه يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَنْتظِرَ وَقْتاً طَوِيلاً قَبْلَ أَنْ تَتَمكَّنَ مِنْ شِرَاءِ مَنْزِلٍ صَغِيرٍ لجَدَّتِهَا الفَقِيرَةِ العَجُوز . فَبِرَغْم أَنَّه كَانَ فى

اسْتِطَاعَتِهَا أَنْ تَشْتَرِىَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً جَمِيلَةً بِدينَارِهَا الوَحِيدِ البَاقِى ، فَإِنَّهَا لَنْ تَستَطِيعَ أَنْ تَشتَرِى بِهِ مَنْزِلاً . وقَالَتْ لِبْلِبَةُ لِنَفْسِهَا : « عَلَى كُلِّ حَالٍ ، أَستَطِيعُ الاحْتِفاظَ بِهَذَا الدينَارِ الأَخِيرِ » .

ولَكِنَّ نَاعِسَة وَجَمِيلة أَخَذَتَا تَسْخَرَانِ مِنْهَا ، وتُسَفِّهَانِ تَصَرُّفَهَا ، ثُمَّ قَالَتَا : « فِى بَادِئِ الأَمْرِ تَعْطِينَ دِينَاراً لِطِفْلَةٍ لاَ تَعْرِفِينَهَا ، ثُمَّ تَأْخُذُ مِنْكِ امرَأَةٌ غَرِيبَةٌ الدِّينَارَ الثَّانِى . لَسنَا نَدْرِى مَا فَائِدَةُ الهِدَايَا ، إِذَا كُنْتِ تَمنَحِينَهَا لِكُلِّ شَخْصٍ يَستَجْدِيهَا مِنْكِ » . ولَكِنَّ لِبْلِبَةَ لَمْ تَكُنْ تَشْعُرُ بِأَىِّ أَسَفٍ عَلَى إِعطَاءِ دِينَارَيْهَا الذَّهَبِيَّيْنِ لِمَنْ هُمْ فى حَاجَةٍ إِلَى النُّقُودِ أَكثَرَ مِنْهَا .

وفِى اللَّيْلَةِ التَالِيةِ ، مَا إِنْ جَلَسَتْ لِبلِبَةُ لِتَنَاوُلِ العَشَاءِ وحْدَهَا ، حتى سَمِعَتْ طَرْقَةً خَفِيفَةً عَلَى البَابِ ، فَسَأَلَتْ عَمَّنْ يَكُونُ بِالبَابِ فى هَذَا الوقْتِ . وتَذَكَّرتْ ما حَدَثَ فى اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، لَكِنَّها ذَهَبَتْ فى الحَالِ



وفَتحَتِ البَابَ ، وهُنَاكَ شَاهَدَتْ سيِّدةً قَصِيرَةً طَاعِنَةً فى السِّنِّ ، تَقِفُ مُنْحَنِيَةً وَقَدْ تقوَّسَ ظَهرُهَا حتَّى اقترَبَ رَأْسُهَا مِن الأَرْضِ .

كَانَتِ السَّيِّدةُ ضَئِيلَةَ الحَجْمِ ، قَصِيرَةَ القَامَةِ جِدًّا حتى إنَّهَا لَمْ تَبْلُغْ إلاَّ كَتِفَ لِبْلِبَةَ . وكَانَتْ مَلابِسُهَا مُجرَّدَ مَجْمُوعةٍ مِن الخِرَقِ ، وحِذَاؤُهَا قَدِيماً جِدًّا حتى إنَّ لِبلبَةَ استَطَاعَتْ أَنْ تَرَى جَمِيعَ أَصَابعِ قَدَمَيهَا بَارِزَةً مِنَ الثُّقُوبِ الكَبِيرَةِ المَوْجُودَة بِهِمَا .

وقَالَتِ المَرْأَةُ العَجُوزُ حِينَمَا شَاهَدَتْ لِبْلِبَةَ : « يَا فَتاتى الصَّغِيرَة . . هَلْ أَجِدُ لَدَيْكِ فَلْساً وَاحِداً تَتَصدَّقِينَ بِهِ عَلَى مُتَسوِّلةٍ عَجُوزٍ مسْكِينَةٍ ؟ . لَقَدْ







طَرَقْتُ أَبْوابَ مَنَازِلَ كَثِيرةٍ ، ولكِنَّ أَهْلَهَا طَرَدُونى بَعِيدًا ، وشَيَّعُونى بِالسِّبابِ واللَّعَنَاتِ ، ولَمْ يَمْنَحُونى شَيْئاً سِوَى اللَّكْزِ والأَلْفاظِ النَّابِيةِ ، فإِذَا لَمْ يَمُدَّ لى أَحَدٌ يَدَهُ بِالمُسَاعَدَةِ ، فَسَأَمُوتُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيق ، لأَننى لاَ أَمْلِكُ فَلْساً وَاحِدًا أَحْصُلُ بِهِ عَلَى الطَّعَامِ أَوِ المَأوى » .

فَقَالَتْ لِبْلِبَةُ : « لَسْتُ أَمْلِكُ نُقُوداً . . » وفَجْأَةً تَوَقَّفتْ . . كَانَتْ قَدْ نَسِيَتْ تماماً دِينَارَهَا الذَّهَبِىَّ ،

لٰكِنَّها تَذَكَّرَتْهُ فى تِلْكَ اللَّحْظَةِ . . . لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ غَيْرَهُ . . . إِنَّهُ آخِرُ دِينَارٍ لَدَيْهَا ، وَهُوَ الوَحِيدُ البَاقِى مِنْ هَدَايَا الحُورِيَّاتِ الغَالِيَةِ . . . لَقَدْ كَانَتْ تُرِيدُ الاحْتِفَاظَ بِهِ لِتَشْتَرِىَ شَيْئاً يَنْفَعُ جَدَّتَها وَيَسُرُّهَا . . . وكَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ تُفَرِّطَ فِيهِ .

وتَذَكَّرتْ لِبْلِبَةُ كَلِمَاتِ زَمِيلَتَيْهَا وسُخْرِيَتَهُما عِنْدَمَا قَالَتَا : « لَقَدْ بَعْثَرْتِ دَنَانِيرَكِ عَلَى أَوَّلِ مَنْ قَابَلْتِ مِمَّنْ يَطْلُبُونَ إِحْسَاناً » . وأَخِيراً قَالَتِ السَّيِّدَةُ العَجُوزُ فى صَوْتٍ حَزِينٍ : « إِنَّنِى لاَ أَمْلِكُ فَلْساً وَاحِداً فى هٰذِه الدُّنْيَا يَا صَغِيرَتِى » .

وتَذَكَّرتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ فى تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَدَّتَها العَجُوزَ . إِنَّها فَقِيرَةٌ حَقًّا ، ولَكِنْ لَدَيْهَا كُوخٌ تَعِيشُ فِيهِ ، وهِىَ تَحْصُلُ عَلَى كُلِّ النُّقُودِ الَّتِى تَأْخُذُهَا لِبْلِبَةُ كَأَجْرٍ لَهَا ، لِذٰلِكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْتَرِىَ قَدْراً مِنَ الطَّعَامِ يَمْنَعُ عَنْهَا أَلَمَ الجُوعِ ، وهِىَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْستْ فى حَاجَةٍ إِلَى الإِحْسَانِ أَوْ التَّسَوُّلِ .

وتَصَوَّرتْ لِبْلِبَةُ أَنَّ الحَالَ وَصَلَتْ بجَدَّتِهَا إِلَى أَنْ تُصْبِحَ مِثْلَ هٰذِه السَّيِّدَةِ العَجُوزِ الفَقِيرَةِ ، وتَصَوَّرتْ أَنَّها لَمْ تَعُدْ تَمْلِكُ فَلْساً وَاحِداً ، وتَصَوَّرتْ أَنَّها



قَدْ طُرِدَتْ مِنْ أَمَامِ أَبْوابٍ كَثِيرَةٍ مِنَ البُيُوتِ بَعْدَ أَنْ نَالَهَا الأَذَى مِنْ أَصْحَابِهَا . . . عِنْدَئِذٍ لَمْ تَستَطِعْ أَنْ تَتَحَمَّلَ التَّفْكِيرَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، ودَسَّتْ يَدَهَا فى جَيْبِهَا بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وأَخرَجَتْهَا وهِىَ تَقُولُ لِلمَرْأَةِ المِسْكِينةِ : « خُذِى هٰذَا الدِّينَارَ الذَّهَبِىَّ أَيَّتُهَا الخَالَةُ الطَّيِّبَةُ » .

وتَنَاوَلَتِ السَّيِّدةُ العَجُوزُ الدِّينَارَ الذَّهَبِىَّ ، وقَدِ ارتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْها ابْتِسَامَةٌ سَعِيدَةٌ وقَالَتْ : « أَشْكُرُكِ يَا لَبْلبَة . لابُدَّ أَنْ يَجْنِىَ الإِنْسَانُ ثَمَرَةَ أَعْمَالِهِ الطَّيِّبَةِ » . ثُمَّ وَضَعَتْ يَدَهَا بِرِقَّةٍ عَلَى عَيْنَىِ الفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ ، وعِنْدَمَا رَفَعَتْ يَدَهَا ، أَطْلَقَتْ لَبْلَبَةُ صَيْحَةَ دَهْشَةٍ عَالِيَةً !

* * *





فى مَكَانِ السَّيِّدةِ العَجُوزِ ، كَانَتْ تَقِفُ فَتاةٌ حُلوَةٌ تَرْتَدِى ثَوْباً سُنْدُسيًّا أَخْضَرَ ، وشَعرُهَا الذَّهَبىُّ البَدِيعُ يُنْسابُ عَلَى كَتِفَيْهَا الرَّشِيقَينِ ، وعَلَى رَأْسِهَا تاجٌ يَتلأْلأُ ذُو أَلْوانٍ خلاَّبةٍ ، وَلَهَا زَوْجٌ مِنَ الأَجْنحَةِ الذَّهَبيَّةِ اللاَّمِعَةِ . وإِلَى يَمِينِهَا وَقَفَتْ فَتاةٌ أُخرَى ، ولَكِنَّها تَرْتَدِى ثَوْباً أَزْرَق ، يُشْبِهُ فى لَوْنِهِ وجَمَالِهِ زُرْقَةَ السَّمَاءِ ، وأَجْنِحتُهَا مِنَ الفِضَّةِ الخَالِصَةِ . ووَقَفتْ حَسْناءُ ثَالِثَةٌ عَلَى الْجَانِبِ الآخرِ ، وبَدَتْ أَجْنِحتُهَا مُزَيَّنةً بِقَطراتٍ مُضِيئَةٍ مِنَ النَّدَى ، وَلَونُ ثَوْبِهَا كَوردَةٍ مُتَفتِّحَةٍ حمراءَ .

وقَالَتِ الحَسَناءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الأَزْرَقِ : « لِبْلَبَةُ الصَّغيرَةُ . . . لَقَدْ أَتَينَا مِنْ أَرْضِ الحُورِيَّاتِ لِكَىْ نُكَافِئَكِ عَلَى الدَّنَانِيرِ الذَّهَبيَّةِ الَّتى أَعطَيْتِها لَنا . لَقَدْ أَرَدْتُ-أَنَا وأُختَاى-أَنْ نَعْرِفَ مَا إِذَا كُنْتِ تَمْلُكِينَ قَلْباً طَيِّباً شَفِيقاً ، مِثْلَمَا تَمْلُكِينَ قَلْباً يَجْعَلُكِ تُخْلِصِينَ فى أَدَاءِ عَمَلِكِ وتَقُومِينَ بِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ ، وقَدْ وَجَدْنَا أَنَّكِ كَذَلِكَ فِعْلاً ، إِذْ أَنَّكِ قَدْ مَنَحْتِ هَدَايَا الحُورِيَّاتِ الغَالِيَة لِمَنِ اعْتَقَدْتِ أَنَّهُنَّ أَكْثَرُ مِنْكِ حَاجَةً إِلَيْهَا . الآنَ يَجِبُ أَنْ أُخبِرَكِ أَنَّ الدَّنَانِيرَ الذَّهَبيَّةَ الثَّلاثَةَ الَّتى أَنْفَقْتِهَا شَفَقَةً وإِحْسَاناً ، سَنَمْنَحُكِ فى مُقَابِلِها الحَقَّ فى إِبدَاءِ ثَلاثِ رَغَباتٍ ، وبِذَلِكَ تَتَحقَّقُ لَكِ أَفْضَلُ أَمَانِيكِ» .



وابتَسَمت الحَسَناءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الأَخْضَرِ وقَالَتْ : « هيَّا . . أَخبرِنَا أَيَّتُها الابنَةُ العَزِيزَةُ ، إنَّنى السَّيِّدةُ العَجُوزُ الَّتى أَعْطيْتِهَا دِينَارَكِ الذَّهبىَّ الأَخِيرَ . أَخْبرِينى بِرَغبَتِكِ الأُولَى » .

وفى بَادِئِ الأَمْرِ لَمْ تَستَطعْ لِيْلبَةُ أَنْ تَتَكلَّمَ ، فَقَدْ عَقَدتْ الدَّهْشَةُ لِسَانَهَا . . وَلَكِنَّها صَاحَتْ أَخِيراً : « أَرْجُوكِ . . إنَّ أُولَى رَغَباتِى أَنْ تَعِيشَ جَدَّتِى الحَبِيبَةُ فى مَنْزِلٍ جَمِيلٍ ، بَدَلاً مِنْ كُوخِهَا الْقَدِيمِ الضَّيِّقِ المُظْلِمِ المُتَهدِّمِ » .

وابتَسَمتِ الحُورِيَّة ثانِيةً وقَالَتْ : « سأُلَبِّى طَلَبكِ فَوراً يا عَزِيزَتِى ، خَاصَّةً أَنَّك بَدَلاً مِنْ أَنْ تُفكِّرِى فى نَفسِكِ ، تَذَكَّرتِ جَدَّتكِ » .

ثُمَّ تَقَدَّمتِ الحَسَناءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الأَزرقِ إلى الأَمَامِ وَقَالَتْ : « إنَّنى يَا لِيْلبَةُ ، المَرْأَةُ الفَقِيرَةُ الَّتى أَعْطَيْتِها دِينَارَكِ الذَّهبىَّ الثَّانى ، مَا الَّذِى تُرِيدِينَ أَنْ أُقدِّمَه إِلَيْكِ ؟ » .

قَالَتْ لِيْلبَةُ الصَّغِيرةُ : « أُرِيدُ أَنْ تَنَالَ جَدَّتى كُلَّ شَىْءٍ تَطْلُبه ، وأَلاَّ تُعَانىَ مِنَ الفَقْرِ بَقيَّةَ حَيَاتِهَا » .

وقَالَتِ الحُورِيَّةُ الثَّانِيةُ : « وهٰذِه الأُمْنِيةُ أَيْضاً سأُحَقِّقَها لَكِ يَا فَتاتى الصَّغِيرَة . فَقَدْ آثَرْتِ الآخَرِينَ عَلَى نَفْسِكِ » .

وجَاءَ الآنَ دَوْرُ الحُورِيَّةِ ذَاتِ الرِّدَاءِ الوَرْدىِّ الجَمِيلِ ، فَتقَدَّمَتْ إلى



لِبْلِبَةَ ، وتَنَاوَلتْ يدَهَا ، وقَالَتْ لَهَا وهىَ تَضْحَكُ فى مَرَحٍ : « عَزِيزَتى لِبْلِبَة ، إِنَّ الصَّبيَّةَ الصَّغِيرَةَ الَّتى أَعْطَيْتِهَا أَوَّلَ دَنَانِيرِكِ تُرِيدُ أَنْ تَمنَحكِ هديَّةً مُكَافأَةً لَكِ عَلَى عَطْفِكِ عَلَيْهَا . أَخْبِرينى بِأُمْنِيَّتكِ الأَخِيرَةِ ، فَقَدْ كُنْتُ أَنَا تِلْكَ الصَّبِيَّة » .

انتَظَرتْ لِبْلِبَةُ فترَةً طَوِيلَةً قَبْلَ أَنْ تَتكَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَتْ أَخِيراً فى حياءٍ



شَدِيدٍ : « أُرِيدُ أَنْ أَجِدَ دِينَاراً ذَهَبِيًّا فى حِذَائى كُلَّ صَبَاحٍ طَوالَ حَيَاتى » .

وصَفَّقتِ الحُورِيَّاتُ الثَّلاثُ بِأَيْدِيهِنَّ الجَمِيلَةِ فى مَرَحٍ ، وهُنَّ يَصِحْنَ فى إِعْجَابٍ : « هٰذِهِ أُمْنِيَةٌ حَكِيمَةٌ » .

ثُمَّ قَالَتِ الحُورِيَّةُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الوَرْدِيِّ : « لابُدَّ أَنْ أُحقِّقَ لَكِ أُمنِيَّتكِ يَا لِبْلِبَة ، لأَنني وَاثِقَةٌ أَنَّكِ لَنْ تُنْفِقِي دَنَانيرَكِ الذَّهَبِيَّةَ عَلَى نَفْسِكِ فَقَطْ ، بَلْ عَلَى الفُقَرَاءِ أَيْضاً » . ثُمَّ قَبَّلتْ وَجْنَتَيْ لِبْلِبَةَ .

وفى اللَّحظَةِ التَّالِيةِ ، بَرَقَ وَمِيضٌ لامِعٌ مِنْ أَجْنِحَتِهِنَّ ، اخْتَفتِ الحُورِيَّاتُ الثَّلاثُ عَلَى أَثرِهِ ، تَارِكَاتٍ لِبْلِبَةَ المُخْلِصَة فى المَطْبَخِ ، وهِيَ فى أَشَدِّ حَالاَتِ الدَّهْشَةِ مِمَّا رَأَتْ .

كَانَ اليَومُ التَّالى أَسْعَدَ أَيَّامِ حَيَاة لِبْلِبَةَ . لَقَدْ وَجَدَتْ عِنْدَمَا استيْقَظَتْ دِينَاراً ذَهَبِيًّا يَلْمعُ فى حِذَائِهَا ، فَقَالَتْ لِنَفْسِهَا فى ابْتِهَاجٍ : « إِذَنْ فَقَدْ تَحقَّقَتْ واحِدَةٌ مِنَ الأَمَانِى . . . »

وخِلاَلَ النَّهَارِ ، سَمَحَتْ لَهَا سيِّدَتُها بِالذَّهَابِ لِرُؤْيَةِ جَدَّتِها . وسرْعانَ مَا رَحَلَتْ وقَدْ امتَلأَتْ بَهْجَةً وسُرُوراً .

ولَكنْ عِنْدَمَا اقتَرَبَتْ مِن المَكَانِ الَّذِى اعتَادتْ أَنْ تَجِدَ فِيهِ كُوخَ جَدَّتِهَا ، تَوقَّفَتْ فَجْأَةً وقَدْ غَمرَتْهَا الدَّهْشَةُ : فَبدَلاً مِنْ أَنْ تُشَاهِدَ الكُوخَ القَبِيحَ بِحَوائِطِهِ المُتَهالِكَةِ ، رَأَتْ مَنْزِلاً أَنيقاً جَمِيلاً مُكَوَّناً مِنْ طَابِقَينِ ، قَدْ

أَحَاطَتْ بِهِ حَدِيقَةٌ غَنَّاءُ مُزْدَانَةٌ بالأشْجَارِ المُورِقَةِ الخَضْرَاءِ ، ورُصَّتْ عَلَى نَوافِذِهِ أُصُصٌ بَدِيعَةٌ لَطِيفَةُ الشَّكْلِ ، مَمْلُوءَةٌ بِالْورودِ ذَاتِ الرَّائِحَةِ الذَّكِيَّةِ .

وهُنَاكَ وَجَدَتْ جدَّتها تنتظِرُهَا وَاقِفَةً عَلَى بَابِ الْمَنْزِلِ ، مُرْتَدِيَةً ثَوْباً جَدِيداً جَمِيلاً .

ومَا إِنْ شَاهَدتِ الجَدَّةُ لِبْلِبَةَ ، حتَّى أطْلَقتْ صَيْحَةً وهَتَفتْ : « لِبْلِبَة . . . ! ! لِبْلِبَة . . . ! ! انْظِرى هَذَا المَنْزِلَ الَّذِى أَعْطَتْهُ إيَّاىَ الحُورِيَّاتُ أَخيراً ! إِنَّهُ بِفَضْلِ إِخْلاصِكِ وَصَفَاءِ قَلْبكِ » .

لَقَدْ تَحَقَّقتْ أُمْنيةُ لِبْلِبَةَ الأولى ، وقَادَتْهَا جَدَّتُهَا دَاخِلَ المَنْزِلِ وأَرَتْهَا كُلَّ شَىءٍ ، وقَدْ بَدَا عَلَيْهَا الفَخْرُ والرِّضَا .

كَانَ هُنَاكَ بِسَاطٌ جَمِيلٌ يُغَطِّى الأَرْضَ ، وعِدَّة مَقَاعِدَ أَنِيقَةٍ مُرِيحةٍ ، ومنضَدةٌ دَقِيقَةُ الصُّنْعِ ، كَذَلِكَ شَاهَدَتْ كَمِّيَاتٍ مِن كلِّ أَنْواعِ الطَّعَامِ الجَيِّدِ فى مَخْزنِ الأَطْعِمَةِ .

وفى الطَّابَقِ التَّالى شَاهَدَتْ لِبْلِبَةُ غُرْفَتَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ للنَّومِ ، بِكُلٍّ مِنْهُما سَرِيرٌ أَبْيضُ فَصَاحَتْ : « الآنَ أَستَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ هُنَا عَلَى الدَّوامِ يَا جَدَّتى العَزِيزَة . لَقدْ أصْبحَ لَدَيْكِ كُلُّ ما تَحتاجِينَ إليه ، كَما أَنَّى سَأَحْصلُ عَلَى دِينَارٍ ذَهَبِىٍّ كُلَّ صَباحٍ ، وبِذَلِكَ يَكُونُ لَدينَا مَا يَكْفِينَا حَقًّا » .



وهكَذا أَصْبحَتْ لِبْلبَةُ فى غيْرِ حاجَةٍ إلى العَمَل معَ ناعِسَةَ وجَميلَةَ ، وتَركَتْ منْزِلَ السَّيِّد والسَّيِّدَةِ بعْدَ أَنْ حَصلَتْ مِنْهُما علَى مُكَافَأَةٍ كَبيرَةٍ ، وذَهَبتْ لِتَعيشَ فى المنْزِلِ الأَبيضِ الصَّغيرِ ، حَيْثُ تُعْنَى بِشئُونِ جدَّتِهَا . وعَاشَتْ هىَ وَجدتُهَا فى سَعَادَةٍ مُتَّصلَةٍ دائِمَةٍ .

* * *

أَمَّا نَاعِسَةُ وجَميلَةُ ، فَقَدْ وَجدتَا أَنَّ العَمَل أَصْبحَ شَديدَ المَشَقَّةِ عَلَيهمَا عِنْدَمَا تَركَتْهُمَا لِبْلبَةُ الصَّغيرَةُ ، الَّتى كَانَتْ تَقُومُ بِالقِسْطِ الأَكْبرِ مِنَ الْعَمَلِ . وَلكِنَّ ضَرباتِ ووَخزاتِ الحُوريَّاتِ قَدْ علَّمتْهُمَا دَرْساً لَنْ تَنْسَياهُ ، فَلَمْ تَعُودَا إلَى كَسَلِهمَا مَرَّةً أُخرَى .



أسئلة فى القصة

١ – كانت ناعسة تشبه جميلة فى شيء، وتختلف عنها فى أشياء . اذكر وجه الشبه ، وموضع الاختلاف .

٢ – كيف كانت لِبْلبة سبباً فى عدم طرد ناعسة وجميلة من خدمة سيدتهن ؟

٣ – اذكر أهم الصفات التى ميّزت لبلبة عن زميلتيها .

٤ – ماذا كانت أمانى لبلبة الصغيرة فى الحياة ؟

٥ – من التى قامت بأكبر نصيب من العمل يوم الوليمة ؟

٦ – ماذا حدث للفتيات الثلاث ليلة الوليمة ؟ .

٧ – « أنا واثقة أن الحوريات قد كافأت لبلبة الصغيرة » . . من قالت هذه العبارة ؟ ومتى قالتها ؟

٨ -- لمن أعطت لبلبة دينارها الأول ؟ ولماذا أعطته ؟

٩ -- كيف استقبلت زميلتا لبلبة خبر إنفاقها دينارها الأول ؟

١٠ -- كيف أنفقت لبلبة دينارها الثانى ؟

١١ -- « إننى لا أملك فَلْساً واحداً فى هذه الدنيا يا صغيرتى » . من قالت هذه العبارة ؟ ولمن قالتها ؟

١٢ -- ماذا حدث عندما منحت لبلبة دينارها الثالث السيدة الطاعنة فى السن ؟

١٣ -- ماذا كانت أولى رِغبات لبلبة من الحوريات ؟

١٤ -- « أود أن تنال جدتى كل شىء تطلبه » . لمن قالت لبلبة هذه العبارة ؟

١٥ -- كيف تحققت أولى أمانى لبلبة ؟

١٦ -- ما الذى تستفيده من هذه القصة ؟

١٧ -- اكتب ملخصاً لهذه القصة فى ثلاث صفحات من إنشائك .